

## المرأة النموذج

### أمل مدانات (1)

ما أزال أذكر جيداً ذلك السؤال الذي وُجّه لي في أحد المؤتمرات النسائية، وقبل معرفتي بها، «من هي المرأة النموذج في حياتك؟!». سادت لحظة صمت، وأجبتُ بأسى: لا جواب لدي! ليس من السهل أبداً اختيار شخصية لتكون النموذج والحافز والمناورة التي تسير على شعاعها، قبلها لم أتعرف على شخصية لأقول إنها مَنْ أطمح أن أكونها، وبعد معرفتي الوطيدة بها، منحتني ما كنت أبحث عنه لسنوات، منحتني من دون أن تدري، هدية قيّمة لا تُقدّر بثمن. كانت صلابتها وصبرها في مسيرة حياتها تظهر أمام عينيّ لدى مواجهتي لكل عقبة أو حالة إحباطٍ أو إنهاكٍ نفسيّ وجسدي، وكنت أقول لنفسي: لو هي مكاني، هل كانت لتسمح للتحديات، مهما كانت قاسيةً، بأن تحبّطها؟! طبعاً الجواب لا؛ لأنها قادرة أن تتخطّأها وبكل تصميمٍ وجرأة، وتسير بخطى ثابتة نحو تحقيق ذاتها وهدفها المجتمعيّ ورسالتها في الحياة.

لا مفردات في اللغة تفийها حقها؛ هي مدرسةٌ بحدّ ذاتها، ومسيرتها تُعتبر مرجعاً لحقباتٍ تاريخيةٍ مهمّة جداً. باختصار، وجدتُ ملهمتي في مشوار حياتي على الصعيد الشخصي والتطوعي، وما أروعها من ملهمة! والآن إن سئلتُ، من هي المرأة النموذج في حياتك؟! فإنّ جوابي وبثقة سيكون: إنها السيدة هيفاء البشير!

خلال فترة التسعينيات، وكنت لا أزال على رأس عملي، أخذتُ أبحث عن مرافق مناسبةٍ لكبار السن؛ فوالدي متقاعدٌ بعمر السبعين ولا يزال في نشاطه الجسديّ، لكنّ،

(1) ناشطة اجتماعية وبيئية.

يعيش الوحدة طوال فترات النهار لانشغالي وإخواني بعملنا ومتطلبات الحياة. بحثت عن جهات خاصة تُقدّم خدماتٍ نهائيةً لكبار السنّ للإبقاء على نشاطه وصحته لأطول فترة ممكنة ولتعزيز دوره في المجتمع، حاله حال فئة كبار السن، بحثت وبحثت ولم أجد أيًا منها!.. محاولة المشي مع والدي في الهواء الطلق كانت تُمثّل معاناةً كبيرة؛ إذ لا أرصفة آمنة للمشّي عليها، أخذتُ أبحث عن خياراتٍ أخرى لقضاء وقتٍ مع والدي بعد ساعات دوامي وقصدتُ حينها الحدائق، وللأسف، حتى الحدائق، لا يتوفّر فيها ركنٌ مخصصٌ لهم!.. تجربةٌ مريرةٌ عشتُها من معاناة الوالد صحياً منذ مرضه بالزهايمر لسنواتٍ إلى أن توفاه الله. قلتُ وقتها: لو توفّر للوالد مكانٌ لقضاء وقته أثناء ساعات النهار ومع أشخاصٍ من جيله لما انحدرت حالته النفسية وصحته بهذا التسارع!!.. حالة والدي وما كانت عليه وما أصبحت عليه، جعلتني أفكرّ بنفسي حين أصل لمرحلة متقدمة من العمر، وتساءلتُ: أين، وكيف سأقضي أوقات الفراغ بعد تقاعدي؟!

### هل من يقرع الجرس؟!

تقاعدتُ بناءً على طلبي بعمر الخمسين في العام 2010 لرعاية والدي التي أُصيبت بجلطةٍ دماغية في بداية الثمانين من عمرها، وهي التي كانت لا تشكو من أيّ علةٍ جسدية. عادت بي الذاكرة للوراء، لأيام فترة تقاعد الوالد رحمه الله، ذكرى مؤلمة، فالوحدة كبرته قبل أوانه. لن أكرر معاناته، قلتُ لنفسي، ولا بدّ أن أجد عملاً بدوامٍ جزئيّ لأشغل نفسي، فأنا ما زلتُ في قمة عطائي. استعنتُ بعاملة وافدة لتساعدني في رعاية والدي، وبدأتُ أبحث عن عمل، لكنّ، باءت محاولاتي بالفشل؛ فمن سيوظّفني بعمرٍي هذا؟! عشتُ حالةً من التوتر، وكأنما كنتُ أبحث عن شيءٍ ما لا أعرف بعد ما هو؛ فأنا لم أتقبّل يوماً مسار العمل الروتينيّ لشخصي وللوظيفة، إذ كنتُ دائماً مُبادرةً لأعمالٍ غير اعتيادية ولم أقبل أن أكون على الهامش. منصب مديرة الجودة هو منصبى الوظيفي في سنواتي الأخيرة في المؤسسة

العامّة للإسكان والتطوير الحضري، وقد تمّ ترشيحي لنيل جائزة الملك عبدالله الثاني للتميّز لفئة الموظف القيادي في العام 2005.

التقاعد بالمفهوم المجتمعي وقتها كان يعني النوم لساعاتٍ متأخرة في الصباح، والراحة وقضاء الوقت في الزيارات، وممارسة هوايات، وأنشطة وسفر ورفاهية. فكرة العمل التطوعي حينها لم تخطر لي على بال؛ إذ لا أحد من محيطي، سواء من القريبات لي أو الصديقات، سلّكنَ هذا المسار بعد التقاعد.

### اللقاء...

لم يكن لقائي بها محض صدفة، بل جاء نتيجة جهدٍ مثابر، إذ واطبْتُ في البحث عن جهاتٍ لها علاقة بنشاطاتٍ يهارية لكبار السنّ، ونتيجة بحثي وجدتُ في العام 2010 اسم «متدى الرواد الكبار»، ومؤسسته هيفاء البشير! اسمها أعادني إلى بداية الثمانينيات حين التحقتُ بالدراسة في الجامعة الأردنية بتخصص علم الاجتماع وهي كانت طالبةً في كلية التمريض، وكانت حديث الطلبة في ذلك الوقت؛ هي زوجة وزير الصحة الدكتور محمد البشير الذي استشهد مع الملكة علياء في حادث الطائرة في العام 1977، فَمَن الذي يدفع سيدةً بعمرها وبمركزها إلى أن تدرس؟!.. فَمِن غير الشائع وقتها رؤية سيدة تكبرنا عمراً طالبة في الجامعة، كنت أراها عن بُعد فقط وأسمع عنها من صديقة لي كانت زميلتها في التمريض.

ازداد فضولي لأعرف عنها أكثر، أخذتُ أبحث بكلّ الوسائل المتاحة وعرفت عن أعمالها التطوعية الكثير، ولكم أعجبتُ بما حققتُ من إنجازات، وهنا قلتُ لنفسي: هي ضالتي التي أبحث عنها!

أذكر جيداً ذلك اليوم الربيعي من العام 2010، بعد بحثي عن عنوان مبنى متدى الرواد الكبار وجدته ضمن محيط حديقة الأميرة رحمة بمنطقة خلدا. وأترك لخيالكم تصوّر مدى

فرحتي بالوصول للمكان ومعرفتي بأنه قد يُسعفني حظي بلقاء السيدة هيفاء البشير. لدى دخولي المبنى أجابتنني موظفة الاستقبال لدى سؤالني عن السيدة هيفاء، وقالت: أرجو أن تنتظري قليلاً، فهي في اجتماع لهيئة الإدارة حالياً. انتظرتُ وكلي لهفةٌ للقاءها. دقائق ورأيتهما تخرج من قاعة الاجتماعات، لمحتُ مجموعة نسائية تعلو الابتسامات وجهوهن وهن بكامل أناقتهن البسيطة من تسريحات شعر وثياب، وقلت حينها: ما أجملهن والأجمل رسالتهن التطوعية العظيمة! أسرعُ صوبها، عرّفتهما بنفسني، واعتذرتُ بأنه ليس هناك موعدٌ مسبقٌ للقاء. أتذكرُّ اللحظة وكأنها حاضرة الآن أمام عيني: استقبلتني بوجهٍ بشوشٍ، تشعُّ طاقةً رغم سنّها، ولفّت انتباهي تناسق ثيابها وألوانها، ولم أصدق بأنني وجهًا لوجهٍ أقف أمامها! في مكتبها الأنيق جلستُ وعرّفتهما بنفسني بتفصيل أكثر وتحدثتُ عن اهتمامي بكبار السن. رحّبتُ بي وأعطتني من وقتها حوالي الساعة، ودعتني لحضور فعاليات المنتدى، فشكرتُها وقلتُ إنّ هذا يسعدني بالتأكيد. توطّدت معرفتي بها عن قُرب، وكانت تطلب مني مرافقتها في بعضٍ من أنشطتها وفي الدعوات العامة، وأذكر أنّ أول زيارة رافقتها فيها كانت للجامعة الأردنية لتتحدث لطلبة إحدى الكليات عن تجربتها في العمل التطوعي. تقدمتُ بعدة مبادرات بأعمال لها علاقة بطبيعة عمل ونشاطات المنتدى، فنالت إعجابها، ومن ضمنها إعادة تصميم محتوى بيانات طلب الانتساب لعضوية المنتدى، وهو الطلب المعتمد حتى اليوم.

«إلى الأستاذة أمل مدانات، مع احترامي لشخصية ذات مبادرات محترمة.. هيفاء البشير 4/9/2010. عبارةٌ خطّتها أناملها على مقدمة كتابها «محطات في رحلتي مع الحياة»، عدتُ ذلك اليوم للمنزل وأنا متلهفةٌ للبدء بقراءة سيرتها الذاتية، خصّصتُ وقتاً من ساعات المساء والصبح الباكر جداً، وبدأتُ أقرأ الصفحات الأولى وهي ما كتبه الآخرون عنها. ولفّت انتباهي ما كتبتُ هي في وصف مسيرتها؛ «إنها بانوراما تصويرية لمجتمع عبّر سبعة عقود كان لي فيها إسهامات..». وسرعان ما أخذتُ قراءتي للكلمات والأسطر تأخذني

لمسارٍ مُصوّرٍ وتحوّلٍ لمشاهدٍ أمام عيني وكأني أعيش اللحظة معها. أنهيت قراءة صفحات الكتاب الزاخرة بالمعلومات في أقل من 48 ساعة، مسيرتها في العمل التطوعي أثرت في شخصيتي، وأثرت معلوماتي عن فتراتٍ زمنيةٍ مصيريةٍ للوطن والمجتمع والمرأة. ترسّخ إعجابي بشخصها وبعملها التطوعيّ مع الوقت، وكنت دائماً أردد بيني وبين نفسي: كيف يمكن أن أسهم بإيصال نموذج السيدة هيفاء لشريحة واسعة من المجتمع وخاصة للأجيال الجديدة؟!!

استمرت بالحضور والمشاركة بفعاليات الممتدى طوال فترة السنة ونصف السنة على هذا المنوال، لكن، نظراً لتدنّي حالة والدي الصحية، لم أعد قادرةً على الاستمرار في الحضور للممتدى، لبعد المسافة عن منزلي.

### ملهمتي..

لديّ شغفٌ منذ الطفولة في ما يتعلق بنظافة الأماكن العامة وشوارعنا، وكنت دائماً التذمر والحزن لواقع الحال من ظاهرة الرمي العشوائي للنفايات، لكنني لم أكن أجروّ على اتخاذ أيّ خطوة عملية؛ لاعتقادي بأنني كفردٍ لا أستطيع أن أغيّر واقعاً مؤلماً نعيشه، إلى أن جاء يومٌ قررتُ فيه أن أتحرّك بخطوة، وخطوة جريئة أيضاً، واضعةً نصب عيني صورة السيدة هيفاء البشير؛ إذ هي ملهمتي في العمل التطوعي. وفعلاً بادرتُ بالتحرك بدءاً من شوارع حارتي. بتُّ أجمع نفايات الشارع وأتعرّف على عامل النظافة، وأستمع منه لهومومه وأتعرّف على الناس التي تجني لقمة عيشها من نبش أكياس النفايات من حاوية حارتي! أه كم آلمني ما شاهدت!.. وقلت لنفسي: كيف لم أكن أدرك حجم معاناة هؤلاء؟!.. كنتُ مثل غيري، أراهم بالبصر لا بالبصيرة!.. وقررتُ حينها التحرك وعلى نطاق واسع لتقديم يد المساعدة ولو لشخص واحد، والمدرسة هي البداية.

بدأتُ العمل التطوعي في مدرسة قرب منزلي لتوعية طلبة المدرسة في إدارة النفايات من الناحية الإنسانية وما يتبع ذلك من جوانب متعددة، منها الصحية، والبيئية، والدينية والاقتصادية. واجهتني تحديات لا تُعدُّ ولا تحصى، ومن كل صوب، وكنتُ كلما فكرتُ للحظة بالتخلي عن مشروعي، أستجمع قواي وأنهض وأكمل مشواري، ومنازتي هي السيدة هيفاء البشير. كنتُ أسعى إلى تغيير ثقافة طلبة المدرسة وإدارتها وكوادرها في موضوع النظافة والرمي العشوائي للنفايات، والعمل على التوعية بضرورة تقليل الاستهلاك، وبأنَّ مخلفات كل مادة نستهلكها لها قيمة مهما صغرت في نظرنا، وهذا بحدِّ ذاته موروثٌ ثقافي ليس من السهل أبداً تغييره، لكنّه ليس مستحيلاً، وهكذا، تابعتُ العمل بكلِّ شغفٍ وتصميمٍ على المضي قُدماً وبدعمٍ من مديرة المدرسة الأستاذة عائدة عرعر، الإنسانة الوحيدة التي كانت دعمتني وشاركتني الهدف والرؤيا بالاستثمار في جيل المستقبل. وفي العام 2012 أطلقت مبادرة مدرسية مجتمعية باسم «مشوارنا لصفر نفايات» استمر العمل بها لمدة 7 سنوات متواصلة، وقد حازت المبادرة على جائزة، وهي منحة مالية بقيمة 10000 دولار من إحدى الجهات الدولية الداعمة لمشاريع بيئية قائمة ومستمرة، ومن خلال المنحة تم إنشاء معرض دائم يروي قصة الأرض واستنزاف الإنسان لموارد الأرض وأثر الرمي العشوائي للنفايات على صحة الإنسان، إضافةً إلى حيِّزٍ مكانيٍّ للتعليم والتدريب وصولاً للمعرفة المتكاملة للعيش بنظام حياة جديد لصفر نفايات بأسلوب تفاعلي يعتمد اللعب وقضاء وقتٍ ممتعٍ مع الطلبة.

مشواري الشخصي والمجتمعي والمدرسي مع النفايات وُثق بفيلم بعنوان «بحالي بلشت» وهو إنتاج مشترك مني ومن مخرج الفيلم إيلي نمري، وقد كان أول عروض الفيلم في فعاليات أسبوع عمان للتصميم في العام 2017، والفعالية الثانية كانت برعاية سمو الأميرة بسمة بتنظيم من هيئة الأمم المتحدة لشؤون الأسرة وبالتنسيق مع الهيئة الملكية للأفلام، كما اختير من إحدى الجامعات بدولة التشيك/ براغ ليشارك بعدة عروض ومناطق

ضمن فعاليات مهرجان الثقافة العربي في التشيك في العام 2019، إضافةً لعدة عروض لطلبة المدارس والجامعات وجهات متعددة محلية ودولية.

### فيلم «نضال امرأة»..

لقاء صدفة كان قد جمعني بالمخرج إيلي نمري، الذي قدّم لتفنيذ أعمال في الأردن، من ضمنها مشروع سلسلة وثائقية تحمل اسم «نضال امرأة». وقتها أدركتُ الفكرة التي كانت تجول بخاطري عنها، بضرورة توثيق مسيرتها النضالية ضمن فيلم يروي هذه المسيرة؛ ومن أحمق من السيدة الريادية هيفاء البشير لأن تكون لها الصدارة في سلسلة «نضال امرأة»، لما تُمثله من قيم إنسانية ونموذج للتطوّع يجب أن يُحتذى به! دعوت المخرج إيلي نمري لحضور بعض أنشطة منتدى الرواد الكبار وعرفته على السيدة هيفاء البشير.

في الأسبوع الأخير من شهر تموز من العام 2016 قصدتُ والمخرج إيلي نمري السيدة هيفاء في مكتبها بمبنى الرواد الكبار، وطرحتُ عليها فكرة تصوير فيلم وثائقي من إنتاج المخرج إيلي نمري، لتروي هي مسيرتها، أجابت على الفور بأنها على استعداد تام للتصوير، جلسنا ساعتين من الوقت، زوّدتني بأسماء شخصيات نسائية تربطها بهنّ علاقات عمل مشترك وصدّاقة ونسب، للتواصل ولتصوير لقاءات معهن. أنهيتُ كلّ إجراءات التواصل وتحديد مواعيد التصوير مع عشر شخصيات ممن سيتحدثون في الفيلم. ومن واقع معرفتي بها وبمحتوى كتابها «محطات في رحلتي مع الحياة» استلهمتُ إعداد الأسئلة التي ستوجّه لها خلال التصوير وعددها خمسون سؤالاً. سلّمتها نسخة من ورقة أسئلة اللقاء، وقلت لها: ما الوقت الذي تحتاجينه لتكوني جاهزة للتصوير؟! قالت: من صباح الغد سأكون جاهزة!.. وتم الاتفاق على بدء التصوير في اليوم الثاني من آب من العام 2016.

هي اختارت المكان، منزل العائلة ومزرعتها في منطقة زي - السلط. توجهت صباحاً مع المخرج إيلي نمري ومدير التصوير بشير نمري والفريق الفني الذي قَدِم من بيروت لهذه الغاية. تحت شجرة وارفة الظلال جلست على مقعد خشبي لا مسند له للظهر، واتخذت من الطاولة الخشبية متكئاً لها، وهي تحتضن بكفيها كتابها «محطات في رحلتي مع الحياة». كانت ترتدي فستاناً أسود اللون يُزيّنه على الصدر والرسغ تطريزٌ فلاحى من إرث فلسطين وبألوان الفرح، متزينة بحلّق أزرق اللون يليق بلون عينيها، ويتدلى من رقبتها عقدٌ بأحجار ملونة. جلست أمامها ونظرها كان موجهاً نحوى، بين يديّ ورقة الأسئلة، أسألها وهي تسرد لي مراحل حياتها، كأنما تعيش اللحظة ذاتها، تحدّثت بأسلوبٍ ممتع وإحساسٍ مُرهف، صوتها وإحساسها وتعبير وجهها كانت تجعلني أعيش اللحظة معها أيضاً، عشتُ معها حالة قهر الاحتلال الإسرائيلي في نابلس وألم الناس والحزن والألم لفقدائها والدها وهي لا تزال طفلة، عشتُ معها للحظات من تحديات وإصرار على تلقي العلم والدراسة خارج سقف بيتها، ببساطة عشتُ معها كلّ تفاصيل مسيرة حياتها من أيام الفرح والمرح والقهر، حيث التحديات والنجاحات.

لم تطلب أن ترتاح ولو لبعض الوقت، لا بل رفضت طلب المخرج إيلي نمري بأن تأخذ قليلاً من الوقت لتستريح، لم تشرب إلا رشفة ماء في الساعة الأخيرة من التصوير. أربع ساعات متواصلة من الحديث تمكّنت فيها من سرد مسيرة ابتدأتها من مراحل الطفولة من الثلاثينيات من القرن الماضي لغاية العام 2016. لم يكن الكتاب الذي تحتضنه بكفيها مرجعاً لتذكر تفاصيل حادثة ما. إنّ مسيرة نضال السيدة هيفاء ملحيس البشير لا تكفيها ساعة وثائقية فقط، مسيرتها تحتاج لساعاتٍ عديدة، لأنها ببساطة موسوعة متكاملة من الإنسانية وما تتميز به من علم وخبرات وحكمة اكتسبتها على مدى عقودٍ من الزمن.

خلف كواليس الكاميرا تحدثت بشغف شابة لا تزال في بداية حياتها العملية، تحدثت عن مشاريع مستقبلية، منها ما هو قيد التخطيط ومنها ما هو قيد العمل على أرض الواقع،

مشاريع تخصّ توسعة منزل العائلة والمزرعة في زي ومشاريع قيد الدراسة لتوسعة منتدى الرواد الكبار وصيانة وتحديث مرافق دار الضيافة للمسنين. كانت تعيش القلق والخوف على استدامة مؤسساتها الإنسانية القائمة بشموخ وعز منذ السبعينيات من القرن الماضي، وتشاركها القلق رفيفاتها في جمعية الأسرّة البيضاء اللواتي يعملن كخلية نحل بالتواصل مع جهات عديدة محلية وعربية ودولية، لاستقطاب الدعم بكل أنواعه لتبقى أبواب المؤسسات الخيرية مُشرفة للمستفيدين منها.

أشعر بالفخر حقيقةً لكون فيلم «نضال امرأة» للسيدة هيفاء البشير وفيلمي الوثائقي «بحالي بلشت» تم اختيارهما من لجنة الأمم المتحدة لشؤون الأسرة ضمن مجموعة أفلام عالمية أجنبية، لتكون الأفلام العربية والأردنية الوحيدة التي تعرض ضمن أفلام المرأة للعام 2018.

وهنا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر للسيدة هيفاء البشير على إصرارها لحضور عرض فيلمي «بحالي بلشت» في سينما الرينبو بمناسبة يوم المرأة العالمي في الثامن من آذار من العام 2018، ولن أنسى تكبّدها مشقة المجيء لمبنى السينما في جبل عمان/ شارع الرينبو وصعود الدرج للطابق الأول متكئة على عصاها ومساعدة أخرى. لقد شاهدت الفيلم باهتمام بالغ، وفي نهاية العرض، شكرتني على عملي التطوعي طوال السنوات، ولن أنسى جملتها لي: «لقد عملت بشغف واضح وبشخصك ما لم تعمله مؤسسات. ترفع لك القبعات». أن تُعَدّق عليّ السيدة هيفاء بهذه العبارة، كان كافيًا لكي تنسيني تعبي وتكون الحافز لي لمزيد من العمل والعطاء. هي لم تُدرِ وقتها بأنها كانت الدافع والمحرك لي لأحقق ما حققت من إنجازات بعملتي التطوعي ضمن أجواء الاستغراب لتطوعي من بعض أفراد عائلتي وصديقاتٍ وقرياتٍ لي، إذ إنّ السائد بأنّ أي عمل يجب أن يحقق أجرًا، وعدا ذلك يعتبر مضيعة للوقت والجهد.

## فيلم وثائقي درامي.. «رعاية لا حدود لها»

كانت مجرد فكرة تشاركتُ فيها والمخرج إيلي نمري وطُرحت على السيدة هيفاء البشير لتوثيق مسيرة خمسين عامًا من عمل جمعية الأسرة البيضاء/ ودار الضيافة للمسنين، وكان للدعم المالي من أهل الخير في بلدنا الدور في تنفيذ الفيلم وهو حاليًا قيد الحلقة الأخيرة من عمليات المونتاج، وقد شارك في التمثيل نخبة من فناني الأردن المتميزين: جوليت عواد، هشام هنيدي، إيمان هائل، جورج حجازين، أريج دبابنة، وإياد شطناوي، فلهم كل الشكر والتقدير.

## ما مدى معرفة المرأة والمجتمع اليوم؟

ما مدى معرفة المرأة اليوم بمن هي الريادية التي شرّعت الأبواب لعمل المرأة المتزوجة؟!.. ماذا تعرف المرأة اليوم عن الدور الذي ساهمت به هيفاء البشير في الحركة النسوية منذ القرن الماضي، وكيف تمكّنت مع رفيقاتها الرياديات في النضال، رغم كل التحديات، من تحقيق إنجازات نفخر بها اليوم؟!.. ماذا تعرف طالبات التمريض اليوم عن الدور الذي ساهمت به هيفاء البشير وماري شوارب ورفيقاتهما من جمعية الأسرة البيضاء في تغيير نظرة المجتمع السلبيّة لمهنة التمريض في منتصف القرن الماضي؟!.. كيف واجهنّ وتغلّبن على التحديات المجتمعية، فأصبحت الفتيات يقفن طوابير للتسجيل في دراسة التمريض؟!..

هل يعلم المجتمع اليوم مدى التحدي الذي واجهته السيدة هيفاء ورفيقاتها من جمعية الأسرة البيضاء بإضافة هدف رعاية كبار السن لأهداف جمعيتهن، وذلك بناءً على توصية قُدّمت لهنّ من المغفور له وصفي التل رئيس الوزراء حينها؟!.. ثقافة وجود كبير السن في دار رعاية خارج محيط أسرته هي ثقافة لم تكن موجودة ولم يتقبلها المجتمع الأردني، فكل كبير هو سيد أسرته!.. حاربها المجتمع في حينه وانتقدتها وسائل الإعلام، وقيل بأن هيفاء

البشير سُنَّشتت العائلات بمشروعها هذا، لكن، كانت لديها ورفيقاتها الرؤية بأنَّ الكبير سيحتاج يوماً للرعاية الإنسانية التمريضية.

تحدياتٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى، إذ كانت ثقافة المجتمع تُكبِّل الفتاة والمرأة المتزوجة على السواء من كلِّ الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفي حقِّهنَّ في التعليم والعمل. اليوم، الفتاة تتجه للتعليم الجامعي بشكل روتيني، تتخرج وتعمل، تتزوج وتكوِّن أسرةً وأطفالاً وهي لا تزال على رأس عملها. تتخَّب وتُتخَّب للمجالس البرلمانية. حقوقُها ساهمت بها السيدة الريادية هيفاء البشير ورفيقاتها الرياديات وحاربن لعقود، فاكسبَتْها المرأة بعد مسيرةٍ نضالية لا يستهان بها، وضمن ظروفٍ جداً صعبة.

وبنهاية الفيلم الوثائقي «نضال امرأة» كانت هذه العبارة رسالتها للمرأة...

«العمل هو ما أوصي به النساء. يجب ان تُسهم المرأة في الحياة العامة كإنسانٍ مساوٍ للرجل.. دون معارك مع الرجال».

السيدة هيفاء البشير قرعت الجرس منذ عقدٍ من الزمن وأسَّست «النموذج الأول» لنادي نهاري لكبار السن هو منتدى الرواد الكبار.

ومن حديثها في نهاية الفيلم الوثائقي أختار رسالتها هذه: «لا بد من إطالة السنين الإنتاجية لكبار السن، الإنتاج بكل أنواعه، المادي الأدبي والثقافي».

وهنا أودُّ أن أنهي برسالة إنسانية بحق كبار السن في بلدنا واستكمالاً لمسيرة الريادية هيفاء البشير: «آن الآوان لأن يُقرع الجرس ثانية لتتفرَّع وتمتد أغصان منتدى الرواد الكبار ضمن كل حديقة من حدائق عمان، لا بل لكلِّ حيٍّ من أحياء بلدنا. كبارنا هم بركتنا؛ فما أحوجنا اليوم لتوفير كل السبل والمتطلبات والمرافق التي تتضمن أنشطة متعددة المحاور تضمن عامل الوقاية لصحتهم النفسية والجسدية لساعات النهار! بدلاً من بقائهم أسرى للوحدة والعزلة في عالم اليوم الذي بات يتطلب من كل أفراد الأسرة مواصلة الليل مع النهار لتأمين لقمة العيش، والوقاية خير من العلاج.

---

أوصي بأن يتنشر فيلم «نضال امرأة» وبأن تُنظَّم فعاليات لعرضه في المكتبات، وخاصة فئة الشباب من الجنسين، كوثيقة تاريخية عن المسيرة الريادية لهيفاء البشير، وما تتضمنه من تأريخٍ لحقباتٍ تاريخية منذ فترة الثلاثينيات ولغاية هذا اليوم.